

تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ

مِنْ

أَضْوَاءِ الْبَيِّنَاتِ

تأليف

الشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار  
ابن بكين الشنقيطي

إعداد

أ.د. سيد محمد ساد آبي الشنقيطي  
أستاذ الإعلام الإسلامي بكلية الدعوة  
والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار الهدى النبوي

مصر - المنصورة

دار الفضية

الرياض - السعودية

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَنْ يَزِيَكُمْ﴾؛ أصله من الوتر، وهو الفرد، فأصل قوله: ﴿وَلَنْ يَزِيَكُمْ﴾؛ لن يفردكم ويجردكم من أعمالكم بل يوفيكم إياها.  
قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَتَّبِعْكُمْ اللَّهُ وَأُولُو الْأَرْحَامِ﴾.

هذه الأجرور التي وعد الله بها من آمن واتقى جاءت مبينة في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنشَأُوا اللَّهَ وَءَامَنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَعْرِزْ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ [الحديد]، إلى غير ذلك من الآيات.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْأَلُكُمْ ءَأْمَالُكُمْ﴾. في هذه الآية الكريمة أوجه معلومة عند أهل التفسير، منها أن المعنى ولا يسألكم النبي ﷺ أموالكم أجراً على ما بلغكم من الوحي المتضمن لخير الدنيا والآخرة.

وهذا الوجه تشهد له آيات كثيرة من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرِ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [سبأ: ٤٧] وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦] وقوله تعالى: ﴿أَمْ سَأَلْتَهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الطور].

وقد قدّمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة هود، في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَيَنْقُورِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَإِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [هود: ٢٩] وذكرنا بعض ذلك في سورة الشورى في الكلام على قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣].

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾. قد قدّمنا الآيات الموضحة له قريباً في الكلام على قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾... الآية.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾. قد قدّمنا الآيات الموضحة له في سورة النساء، في الكلام على قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء].



بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة الفتح

قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾، التحقيق الذي عليه الجمهور أن المراد بهذا الفتح صلح الحديبية؛ لأنه فتح عظيم.

وإيضاح ذلك أن الصلح المذكور هو السبب الذي تهيأ به للمسلمين أن يجتمعوا

وإيضاح المعنى ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾؛ أي السكون والطمأنينة إلى الحق، في قلوب المؤمنين، ليزدادوا بذلك إيماناً لأجل أن يدخلهم بالطمأنينة إلى الحق، وازدياد الإيمان جنات تجري من تحتها الأنهار.

ومفهوم المخالفة في قوله: ﴿فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أن قلوب غير المؤمنين ليست كذلك وهو كذلك؛ ولذا كان جزاؤهم مخالفاً لجزاء المؤمنين كما صرح تعالى بذلك في قوله: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَةَ الطَّاغُوتِ بِاللَّهِ ظَنُّ السُّوءِ﴾.

وإيضاح المعنى أنه تعالى وفق المؤمنين بإنزال السكينة، وازدياد الإيمان، وأشقى غيرهم من المشركين والمنافقين فلم يوفقهم بذلك ليجازى كلا بمقتضى عمله.

وهذه الآية شبيهة في المعنى بقوله تعالى في آخر الأحزاب: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ ﴿٧٣﴾ لِعَذَابِ اللَّهِ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴿٧٢﴾ [الأحزاب: ٧٢ - ٧٣].

قوله تعالى: ﴿وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾. بين - جلّ وعلا - في هذه الآية الكريمة أنه يجازي المشركين والمشركات والمنافقين والمنافقات بثلاث عقوبات وهي غضبه، ولعنته، و نار جهنم.

وقد بين في بعض الآيات بعض نتائج هذه الأشياء الثلاثة، كقوله في الغضب: ﴿وَمَنْ يَجْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١]. وقوله في اللعنة: ﴿وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَمَا لَمْ يَحْدِلْهُ نُصِيرًا﴾ [النساء: ٥٢]. وقوله في نار جهنم: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾... الآية [آل عمران: ١٩٢].

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٨١﴾. بين - جلّ وعلا - في هذه الآية الكريمة، أنه أرسل نبيه محمداً ﷺ شاهداً ومبشراً ونذيراً.

وقد بين تعالى أنه يبعثه ﷺ يوم القيامة شاهداً على أمته، وأنه مبشر للمؤمنين ومنذر للكافرين. قال تعالى في شهادته ﷺ يوم القيامة على أمته: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ ﴿٤١﴾ [النساء]. وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ﴾ [النحل: ٨٩].

فآية النساء وآية النحل المذكورتان الدالتان على شهادته ﷺ يوم القيامة على أمته تبيان آية الفتح هذه.

وما ذكرنا من أنه مبشر للمؤمنين ونذير للكافرين أوضحه في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ ﴿٩٧﴾ [مريم].

وقد أوضحنا هذا في أول سورة الكهف، وما ذكره - جلّ وعلا - في هذه الآية الكريمة، ذكره وزيادة في سورة الأحزاب في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ [الأحزاب].

وقوله هنا: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا﴾؛ حال مقدره، وقوله: مبشراً ونذيراً كلاهما حال معطوف على حال.

قوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾.

أمر الله - جلّ وعلا - نبيه أن يقول للمنافقين الذين تخلفوا عنه واعتذروا بأعذار كاذبة: ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾؛ أي لا أحد يملك دفع الضر الذي أراد الله إنزاله بكم ولا منع النفع الذي أراد نفعكم به؛ فلا نافع إلا هو ولا ضار إلا هو تعالى، ولا يقدر أحد على دفع ضره أو منع نفعه إلا به.

وهذا الذي تضمنته هذه الآية الكريمة، جاء موضحاً في آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى في الأحزاب: ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب].

وقوله تعالى في آخر يونس: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾... الآية [يونس: ١٠٧].

وقوله في الأنعام: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام].

وقوله تعالى في النساء: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ١٧].

وقوله تعالى في فاطر: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ﴾... الآية [فاطر: ٢].

وقوله تعالى في الملك: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الملك].

وقد ذكرنا بعض الآيات الدالة على هذا في أول سورة فاطر، في الكلام على قوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾... الآية، وفي سورة الأحقاف، في الكلام على قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَفْرَيْتُمْ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [الأحقاف: ٨].

قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ذكر - جلّ وعلا - في هذه الآية الكريمة أنه أنزل السكينة على رسوله وعلى المؤمنين، والسكينة تشمل الطمأنينة والسكون إلى الحق والثبات والشجاعة عند البأس.

وقد ذكر - جلّ وعلا - إنزاله السكينة على رسوله وعلى المؤمنين في براءة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٢٦]، وذكر إنزال سكينته على رسوله في قوله في براءة: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾... الآية [التوبة: ٤٠].



وذكر إنزاله سكينته على المؤمنين في قوله: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ .  
وهذه الآيات كلها لم يبين فيها موضع إنزال السكينة، وقد بين في هذه السورة  
الكريمة أن محل إنزال السكينة هو القلوب، وذلك في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي  
قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ... الآية.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ .

ما ذكره - جلّ وعلا - في هذه الآية الكريمة ذكره في سورة التوبة، وسورة الصف،  
وزاد فيهما أنه فاعل ذلك، ولو كان المشركون يكرهونه، فقال في الموضعين: ﴿هُوَ الَّذِي  
أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩].

قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ . قد قدمنا  
الآيات الموضحة له في سورة المائدة، في الكلام على قوله تعالى: ﴿سَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ  
يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَرْجٍ أَخْرَجَ شَطَطَهُ فَتَازَرَهُ فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَى سَوْقِهِ يُعْجِبُ  
الزُّرْعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ .

قرأ هذا الحرف ابن كثير وابن ذكوان عن ابن عامر: «شَطَّاءُ» بفتح الطاء، والباقون  
من السبعة بسكون الطاء، وقرأ عامة السبعة غير ابن ذكوان: «فَازَرَهُ» بألف بعد الهمزة،  
وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر: «فَازَرَهُ» بلا ألف بعد الهمزة مجرداً. وقرأ عامة  
السبعة غير قبل: «على سَوْقِهِ» بواو ساكنة بعد السين. وقرأ قبل عن ابن كثير بهمزة  
ساكنة بدلاً من الواو، وعنه ضم الهمزة بعد السين بعدها واو ساكنة.

وهذه الآية الكريمة قد بين الله فيها أنه ضرب المثل في الإنجيل للنبي ﷺ  
وأصحابه بأنهم كالزروع يظهر في أول نباته رقيقاً ضعيفاً متفرقاً، ثم ينبت بعضه حول  
بعض، ويغلظ ويتكامل حتى يقوى ويشدد وتعجب جودته أصحاب الزراعة، العارفين  
بها، فكَذَلِكَ النبي ﷺ وأصحابه كانوا في أول الإسلام في قلة وضعف ثم لم يزالوا  
يكثرون ويزدادون قوة حتى بلغوا ما بلغوا.

وقوله تعالى: ﴿كَرَجٍ أَخْرَجَ شَطَطَهُ﴾ ؛ أي فراخه فنبت في جوانبه. وقوله: ﴿فَتَازَرَهُ﴾  
على قراءة الجمهور من المؤازرة، بمعنى المعاونة والتقوية، وقال بعض العلماء:  
﴿فَتَازَرَهُ﴾ أي ساواه في الطول، وبكل واحد من المعنيين فسر قول امرئ القيس:

بمحنة قد آزر الصال نبتها مجر جيوش غانمين وخيب

وأما على قراءة ابن ذكوان (فأزره) بلا ألف، فالمعنى شدة أزره؛ أي قواه.

ومنه قوله تعالى عن موسى: ﴿وَجَعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿هَرُونَ أَخِي﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿أَشَدُّ بِهِ﴾  
أَزْرِي ﴿٣١﴾ الآية [طه]. وقوله: ﴿فَاسْتَعْلَظَ﴾ أي صار ذلك الزرع غليظاً بعد أن كان  
رقيقاً، وقوله: ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ أي استتم وتكامل على سوقه أي على قصبه.

وما تضمنته الآية الكريمة من المثل المذكور في الإنجيل المضروب للنبي ﷺ وأصحابه بأنهم يكونون في مبدأ أمرهم في قلة وضعف، ثم بعد ذلك يكثرون ويقوون، جاء موضحاً في آيات من كتاب الله تعالى كقوله: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمْ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيْدِكُمْ يَبْصِرُونَ﴾ . . . الآية [الأنفال: ٢٦].  
 وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣]. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْأَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ فَلَاحْشَوْنَهُمْ وَأَحْشَوْنَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]. إلى غير ذلك من الآيات.



بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة الحجرات

قوله تعالى: ﴿يَتَّابِعُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ . قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: «لا تقدموا» فيه لعلماء التفسير ثلاثة أوجه:

**الأول** منها: وهو أصحها وأظهرها أنه مضارع قدم اللازمة بمعنى تقدم. ومنه مقدمة الجيش ومقدمة الكتاب بكسر الدال فيها، وهو اسم فاعل قدم بمعنى تقدم. ويدل على هذا الوجه قراءة يعقوب من الثلاثة الذين هم تمام العشرة: «لَا تَقْدِمُوا» بفتح التاء والدال المشددة وأصله «لا تتقدموا» فحذفت إحدى التائين.

**الوجه الثاني:** أنه مضارع قدم المتعدي، والمفعول محذوف لإرادة التعميم؛ أي لا تقدموا قولاً ولا فعلاً بين يدي الله ورسوله بل أمسكوا عن ذلك حتى تصدروا فيه عن أمر الله ورسوله.

**الوجه الثالث:** أنه مضارع قدم المتعدية ولكنها أجريت مجرى اللازم، وقطع النظر عن وقوعها على مفعولها؛ لأن المراد هو أصل الفعل دون وقوعه على مفعوله. ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [غافر: ٦٨]، أي هو المتصف بالإحياء والإماتة، ولا يراد في ذلك وقوعهما على مفعول.

وكقوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٩]؛ لأن المراد أن المتصفين بالعلم لا يستوون مع غير المتصفين به.

ولا يراد هنا وقوع العلم على مفعول، وكذلك على هذا القول: «لا تقدموا»، لا تكونوا من المتصفين بالتقديم.

وقد قدمنا في كلامنا الطويل على آية: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ﴾ [محمد: ٢٤]، أن لفظة بين يديه معناها أمامه، وذكرنا الآيات الدالة على ذلك.